خارجةٌ عن النّص

أصوات نساء من بعلبك

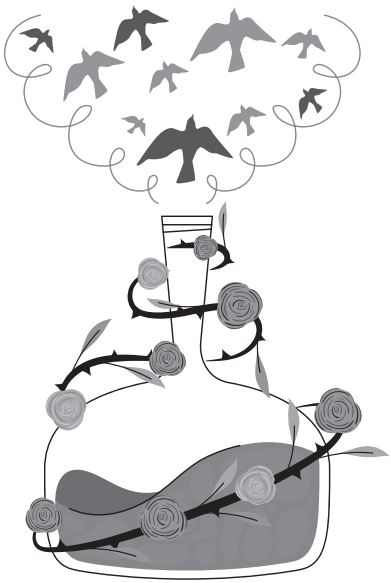

تصميم الورشة: مهاد حيدر

إنتاج الورشة: ريتا باروتا

تدقيق وتحرير: نور حطيط

تصميم الكتاب: عفيفة حلبي

منشورات: مكتبة ومقهى «مَيْلي»

العنوان:

بعلبك، سنتر شريف، الطابق الثاني.

إيميل: mayli_library@gmail.com

الطبعة الأولى ٢٠٢٤

حقوق الطبع محفوظة

بدعم من:

تم تمويل / دعم انتاج و طباعة هذا الكتيب من قبل برنامج «نحن نقود»، وهو برنامج مدته خمس سنوات ممول من وزارة الخارجية الهولندية.

«أعرفُ أنني لستُ وحيدة،
ثمَّةَ امرأة،
ربما اثنتان
ربما عشر نساء،
ربما الملايين،
يُشاطرنَني الآن الشّعور نفسه،
كلّ واحدة من خلف نافذتها المُغلقة»

مهاد حيدر

الإهداء

إلى ناسجات الذّاكرة..

مقدمة

«أنا الحكاية

أنـا القصّـة التّـي لا تـدور سـوى حـول نفسـها، لنفسـها، وعـن نفسـها.

أنـا الخطـابُ المؤنّـثُ الـذي يـسرقُ أحرفـه مـن المِخيـال، والخيـال الذكـوري.

أنا الغريبة دومًا داخل منظومة اللّغة والخطاب.

أنا الخطاب الذّي يؤدّيه غيري، عنّي.

أنـا طائـر ليـوم واحـد، أتخيّـل أجنحتـي التّـي لا ترسـمها حـدود المنظومـات

أتخيّل جسدي، هنا، هناك، ما وراء بحار سجن الممكن،

أنا قلم رصاص، وفراغ،

جئتُ هربًا، لأسكنَ كَنَف جدران مكتبة،

وهـذا الـذي بين أيديكـن/م، هـو مولودنـا، الأول، والأخير، لا يهم.

لقد وضعنا للتوّ، أولّ طفل لنا، خارج منظومتكم».

تقـدّم «مَيْـلي»، وكَنِتَـاج لورشـة الكتابـة الإبداعيـة التـي حملـت عنـوان «الجسـد واليوتوبيـا»، مجموعـة نصـوص كتبتْها نسـاء من مختلفِ الأعمارِ، والخلفيّات، والانتماءات والجنسـيّات، اجتمعـنَ ليختـبرنَ الكتابـة الإبداعيـة، كأداة سياسـيّة للمـرة الأولى.

«هنالـك طريقـة واحـدة لإظهـار حميميّة الـذات الأنثوية، وهـي الكتابة».

إيمانًـا منّـا بمقولـة «جوليـا كريسـتيفا»، نقـدّم للقارئـات، والقـرّاء، ما خطّت أيادي نسـاء بعلبك، والجـوار: أحوالهنَّ، أحلامهـنَّ، خوفهنَّ،خيالهنَّ...لعلّنـا نصل معًـا إلى خلق لغة نسـائيّة حرّة مسـتقلّة مُكتشـفَة.

ريتّا باروتا

باردةٌ مثل البحر

منذُ طفولتي، وأنا أتخيّل الروح زرقاء اللون
أردتُ روحًا واسعةً مثل السماء
أتراقص فيها بحريّة دون حدود
باردةً مثل البحر
هادئةً مثل الفجر
متناغمةً كتغاريد العصافير.
حلمتُ أن أكون أشياء كثيرة
طفلةً مليئة بالطمأنينة
أحلّقُ في فضاء حريتي
أداعبُ الغيوم البيضاء،
أبني بيتًا في السماء
أكلّله بالشمس والنجوم،
أعيشُ فيه زمنا طويلا،
أضحك فيه أكثر من اللازم،

وأبكي فيه أكثر من اللازم

أحملُ دميتي،

أملأ بيت السماء بالحب والبهجة،

أرحّبُ فيه بالطيور المهاجرة،

أستقبلُ الأمطار وأتراقصُ على إيقاعها..

ثلاثة وعشرون عامًا وأنا أبحث عن ذلك المنزل، عن بيتي الذي هناك، عن الفرح والحريّة والأمان..

أنْ أبقى مرتدية طفولتي، وهي تتجلّى تحت ثيابي، ورديّة اللون، وألّا أخلعها أبدًا.

مريم حيدر

شجيرةُ السّريس

أكتبُ هذه الذكريات، وقد مرَّ عليها ما يقارب الـ ٧٦ عامًا. ولمْ يتسنَّ لي، نسيان تاريخ خروج والديّ من فلسطين باتجاه الأراضي اللبنانية، فنحنُ من قرية لوبية، قضاء طبريا المُحتلّة ونعيشُ حاليًا في لبنان. أسردُ قصة والدتي، وما حصل معها حينَ شُرّدَتْ مع أهلها من منازلهم باتجاه الشمال الفلسطيني، تحديدًا إلى مدينة بنت جبيل اللبنانية (أم جبيل) الواقعة في الجنوب اللبنانيّ.

كانت جدتي تضع فوق رأسها -كما تروي لي أمي- قِدر نحاس فيه بعض الطحين والطعام كيّ يَكْفي عناء الطريق الطويل، وعلى ذراعها، طفلتها التي لم يتجاوز عمرها الـ ٣ شهور. وبسبب التعب الشديد والخوف، ترَكت جدتي ابنتها تحت شجيرة تسمّى بـ «السريس» أو «العذق الفلسطيني»، وهي شجيرة فلسطينية دائمة الخضرة، جميلة جدًّا.

وكانت والدتي وقريباتها ترتدينَ الفساتين المُطرزة الطويلة، وحينَ رأت والدتي أمها ولمحتها تضع الطفلة

تحتَ الشجيرة، راحت مسرعةً إلى المكان، ودون أن يراها أحد خبّأت خالتي، أي أختها داخل فستانها الطويل.

حملتْ أمي أختها داخل فستانها طوال الطريق، إلى أن وصلت إلى مدينة بنت جبيل الواقعة في الجنوب اللبناني والقريبة من الحدود الشمالية لفلسطين، فبدأت الطفلة بالبكاء وأُفتضحَ أمرها. وتفاجأت جدتي بها، إذ اعتقدت أنَّ الطفلة لا تزال تحتَ الشجيرة.

هذا الواقع القاسي، الذي عاشه الفلسطينيين والفلسطينيات لا يزال قائم، فلا نزال نحنُ في الشتات، ولا تزال غزة المدينة الجميلة تُقصف ولا تزال إسرائيل تسعى لإبادتنا، ولا زلنا نرغب بالحياة.

أمل عثمان

لا مرئيّة

تجلسُ في حديقةٍ مليئة بالأزهار البيضاء، تحت سماء صافية. تتمدّد بجسدها بلا خوفٍ، تتنفسُ بملء رئتيها، وبدقات قلب منتظمة، وبهواء نظيف، نظيف من كلّ ملوّثات المجتمع حولها.

لا تخاف من أن تحمل مرضًا في ثدييها، لا تخاف من أن تورثهُ إلى أهلها أو أطفالها، لا تخافُ من تحديد هويتها الجنسيّة لإكمال حياتها.

لا تخافُ على عقلها، من التفكير الزائد في هواجس وتراكمات الماضي، الذي لم يستهلك سوى وقتها وجسدها.

لا تخافُ الابتعاد عن أهلها، لا تخافُ من شوقٍ لحضن أبٍ غابَ لأكثر من سبعة عشرَ عامًا. لا تخافُ الابتعاد عن ماضيها، حينَ كانت طفلة هادئة قليلة اللعب، وحينَ كانت مراهقة تقوم بعلاقات جنسية في خيالها، ولا تخاف من ماضيها الذي جعلها شابة مخطوبة، يبعدها عن خطيبها هاجس الجلوس جنبه حتّى.

ولا تخاف من كونها شابة ثلاثينية تاهت اجتماعيًا، ولم تلبِّ حاجات جسدها حتّى اللحظة..

ش.ز

ريشة

طارت محلّقةً عاليًا عاليًا
خفقَ قلبها
تعثّرتْ
فعادتْ
فتحتْ خزانتها وارتدتْ ثوبها الأحمر
لتعود وتحلق، متردّدة
أخذت تهوي تارّة، وتحلّق تارة أخرى
إلى أنْ عادتْ، وقد خذلها ثوبها الأحمر
مزّقتهُ
أحرقتهُ
ثم نثرتْ رماده فوق ثرَى حديقتها الخالية من الحياة
زرعتْ أحلامًا فماتت
زرعتْ أمنياتً، فذبُلت

زهراتها البيضاء الصغيرة، نهشتها أنيابُ عاصفة الشتاء الماضي
فطارتْ، والتصقتْ بشالها الصوفي الممزق
وفي صباح ربيعٍ بهيج
جمعت فُتات ذكرياتها
تأمّلت جدران منزلها
صرختْ بصمت
بكتْ،
تنهدتْ،
ثم طارتْ عاليًا عاليًا
حتّى اختفى آخر أثر لها
ثم عادت...

زهراء العفي

مدينة بلا حبّ

«السفر إنْ لمْ يكن معهُ ظفر لا يعّولُ عليه»

إبن عربي

كأنَّ روحـي تحلّـقُ عـلى عجـلٍ.. دون إذني.. تحـاولُ اجتياز الحـدود والحواجز..

كيف وصلتُ إلى حضرتِك!

كأني أسمعُ صوتًا غير موجود، أو غير مفهوم:

-»أنا هنا، اقتربي!»

مـع كل التمنيّـات والأحلام لم أسـتطع زيارتـك.. لماذا الآن؟ لمـاذا معك؟

إنّها الأرواح! ما أجملها!

الخيال، يعني أنّك هنا

ناديتهُ: «شيْخِي، شيخي، هل تسمعني؟»

لبّى ندائي بابتسامته كعادتهِ دون أن أراها أو أراهُ.

صوتُكَ الذي يأتي من المجهول يكون أفضل بمليونِ مرة.

ها أنا أدخل عندَ حضرتك..

يلفتُنِي الشعاعُ الساطعُ القادمُ من اللّوحةِ المعلقةِ أعلى الدّرَج، وقد كُتِبَ عليها: «مقامُ الشيخ الأكبر».

كانَ عليّ أن أنزل الدّرَج لأصل إلى حضرتك، وكلما كنت أنزل خطوةً كانَ قلبي يرتفع إليك أكثر.

إنّه الحبّ يا شيخي..

خفقان قلبي يزيد، والمسافة تكبر أكثر وأكثر.. وكأني أسافرُ عبر الزمن إلى ما يزيد عن السبعمائة عام لأراك هنا وأنت تحاضر في مُريدِيْك.

يا شيخي مريدتُك وصلتْ.

حتى لو تأخرتْ، لكنها وصلتْ.

وأنا فارغة، أنتظرُ منك أن تملأني من الحب ما تيّسر.

أنشرهُ في محيطي الذي يخلو منه..

بلدي ينقصهُ الحب يا شيخي. ألم تزرهُ؟

لقـد زرتَ بعلبـك.. أعلـمُ ذلـكَ. لكـن عتبـي عليـك أنكَّ لم تـترك فائضًـا مـن الحـب فيها.. فائـضٌ يكفـي لي، ولكلّ من يحتاجه.

بعلبـك ينقصهـا الحـبّ يـا شـيخي.. ينقصهـا ليـلى.. وهـل يهـوى المـولى مـن لم يهـوى ليـلى؟ أيـن ليـلى يـا شـيخي؟ بعلبـك حرمتنـي المجنـون يـا شـيخي، لاعتبـارات هدفهـا الوحيـد قتـل الحـب.

ألسـتَ القائـل: «لقـد كنت قبـل اليوم أنكـر صاحبي إذا لم يكـن دينـي إلى دينـه داني، لقد صار قلبي قابـلاً كل صورة، فمرعـىً لغـزلانٍ، وديـر لرهبـانِ وبيـتٌ لأوثـانٍ، وكعبـة طائـفٍ، وألـواح تـوراةٍ، ومصحف قرآنِ، أديـن بدين الحبّ أنَّى توجهـتْ، ركائبـه، فالحـب دينـي وإيماني»؟

لقد أنكرونا، أيها القطب الصوفي.

أنكـروا ليـلى والمجنـون والحـب، وعـادوا، واتهمونـا معـك بالزيـغ والضـلال..

رشا ريّا

مكانٌ بلا ملامح

أنـا الآن في مـكانٍ مـا، بعيـد عن هنا، لم أكتشـف ملامحه بعـد، لكنّه يُشـبهني، يُشـبه عقـلي وقلبي، لا حكم مسـبق عـلى أحـد فيه، فالكل متسـاوٍ.

وصلـتُ إلى هـذا المـكان، بعـد أن تحـرّرتُ مـن مجتمعـي الصغـير قبـل مجتمعـي الكبـير. جمعـتُ مبلغًـا مـن المـال سـمح لي بالسـفر إليـه.

أعيـش في هـذا المـكان البعيـد وحـدي. أعمـل في مدرسـةٍ، وأعتقـد بأنـه، بعـد فـترةٍ ليسـت بطويلـة سـيأتي مـن سيشـاركني حيـاتي. فقـد قـررتُ تبنـي طفلـة صغـيرة جميلـة.. وهـذا كان حلـمًا مـن أحلامـي.

سـتعيش معـي طفلـة لطالما تمنيتهـا، سـأزرع فيها أفـكاراً، كان قـد بترهـا مجتمعـي مـن جـذوري، ولم يسـمح لها أن تكـبر وأن تـرى الشـمس فيّ!

سأعلّمها أن جسدك ملك لكِ، لكِ أنتِ فقط،
حرةٌ أنتِ فيه..
أمّا شعرك!
دعي الشمس تدلله، والهواء ينعشه
افتحـي قلبـك للحـب ولا تسـألي مـن تحبـي، أحبـي لأجـل الحـب! وتمتّعِ

ولا بأسَ في أن تخطئي، فلولا الخطأ لما تعلمنا...

لافندر

«عين وجودي»

لماذا تناديني
هل اشتقتَ لي في سمائك؟
في نورك.
أفتقدكَ،
ولكن لسنا بحاجتك هنا
هنا عالمٌ
لا مكان للحب المزّيف فيه،
للحقد
ابقَ في سمائك!
لا تأتي.
فقد أتيتَ قبل زمن ورجعتَ.
اشتاق لكَ بعض البشر
ولكنهم استبدلوكَ
بجنونهم،

بخوفهم،

وبحقدهم.

ريم صلح

أفول النجمة

ذات مرةً

لمحْتُ نجمةً حزينةً،

اقتربت بحنوٍّ وسألتها: «ما الذي يحزنكِ؟ تبدين باهتة..

هل حزنُكِ مردُّه إلى تجربة قمرية خاصة، أم أنّكِ تقاسمينا أحزان هذا البلد الكئيب؟

للحياة حركةٌ روحيةٌ شبيهةٌ بتلك النجمة البيضاء، لا أستطيع أن أرسمها حتى بخطوطٍ من ذهب.

وأمّا بعد وبُعَيد ذلك الحنين، وُلدتُ ثانية.

والمرء إن لم تحبل به الكآبة ويتمخّضه اليأس، وتضعهُ بعدها الأيام في مهد الأحلام، لا يرى من الحياة غير أنوال العناكب، ولا يسمع من زواياها سوى دبيب الحشرات.

في ذلك الحنين شاهدت ملائكة السماء تنظر إليّ من وراء أجفان تلك النجمة الجميلة، وفيها رأيت أبالسة الظلم يركضون في نيران الجحيم.

وهنـاك لمحـت شراع الحـقّ قـد رفـرف، خُـطَّ عليـه بجيـد العدالـة «لا ظلـم اليـوم».

كانـت تلـك النجمـة صـمّاء بكـماء، تراهـا حينًـا، تسـامر أحـدًا، أو تبلسـم فقـدًا، أو توثّـق عشـقًا..

سـأغفو وأصحـو لأجـد نجمتـي قد أفلَـت قبـل أن تجيبني عـن سـبب حزنها.

لكن أُفولَها يقينٌ بأنّ النجومَ تشعر بنا

تتألم، تتألمل، تتململ، تلمع، تتماسك

وتترك بأفولها يقينًا أحملهُ في طيَّات قلبي وخبايا الأيام

ألا وهو أنَّ «لا ظلمَ اليوم».

ريم رعد

«أساميناً..
شو تعبو أهالينا تلاقوها..»

إسمي عطاف، تغلبتُ مرّة على المصائب التي أحاطتني بكلّ عطفٍ، ربما لذلك ينادونني بعطاف أيضًا! «أساميناً.. شو تعبو أهالينا تلاقوها..»

أعيشُ في مجتمعٍ ذكوريٍّ. وقسَت عليّ الظروف إلى أن جعلتني أتعلم كيف أتحكمّ بقراراتي الصعبة وهذه قصتي:

كنتُ طفلة، كجميع الطفلات لديّ متسع للأحلام الكبيرة، لديّ متسع لطموحات أكبر، للركض واللعب، ولعدّ جميع النجوم المتساقطة على ملامحي، وملاحقة الفراشات. ثمَّ ذات يوم أصبحتُ مراهقة ككل المراهقات في المرحلة المتوسطة من تعليمي، في مرحلة من النمو مع جميع أحلامي.

كنت أجلسُ طويلًا وأسألُ نفسي هل حقًّا سأصبح ممرضة؟

ذات يوم، دخلت المنزل، وجدت فستانًا أبيضًا. لمعَت عيناي، لكني لم أدرك أنَّ ذلك يعني الزواج. سألت نفسي هل سأصبح زوجة؟ ما معنى أن أكون زوجة؟

أخـذت عائلتـي القـرار عنّـي، فسرقـوا منـي طفولتـي، وتبـددت جميـع أحلامي، وأصبحـتُ فعلا زوجـة، وعرفت معنـى أن أعيـل عائلـة بكاملهـا وأن تغيـب نفـسي عنّـي.

إسـمي عطـاف، ينادونني بعطـاف وأنا اليـوم أطرز قصتي عـلى ورقـة، كيّ لا أنسى.

عطاف

المجد لمن قال «لا»

قضيتُ نصف عمري، بلا هويّة، كنتُ خاضعةً تمامًا، لا أتفوّهُ سوى بكلمة «نعم» لكلّ شيء، وعلى أيّ موضوع أو موقف. لم يكنْ لديّ أيّ موقف إطلاقًا، كانوا يتّخذون القرارات عنّي طيلة الوقت.

لكن بعد هذه السنوات جميعها، وجدتُ نفسي وحيدة، لم يرضَ أحدٌ عن خضوعي، لم يعجبهم حتّى، فقررتُ أن أخلق نفسي من جديد، وأنْ أصبح امرأة أخرى، امرأة قوية، تحمي نفسها من الجميع، لا تسمع لأحد يريد لها سوءًا.

امرأة تكسر الحواجز التي أوجدها مجتمعها، كالتقاليد والعادات البالية.

امرأة لا يمنعها أحد من الخروج كالسابق، ومن العمل، وممارسة ما تريد، وما تقتنع بهِ، دونَ عيونهم التي تراقب تحرّكاتها كافة.

بعـد كلّ هـذه السـنوات، نظـرتُ في مـرآتي وقلـتُ لهـا: «انظـري فقـط لنفسِـك، وتجاهـلي عيونهـم وكلامهـم، وبـادري بإعطـاء نفسـك القيمـة اللازمـة».

مسـحتُ المـرآة بشـدّة، كي تلمـع، فـردّتْ عـليّ: «أنـتِ جميلـة وقويـة، أنـتِ جميلـة وقوية يا عبـير.. و»المجد لمن قـال «لا»».

عبير زعطوط

كرزة

«هل يراني أحد؟»، قالت مرح.

«كلا، ليس هنالك أحد، بسرعة يا مرح!». أجابت كرزة.

أخذتُ العلكة، ووضعتها في جيبي، ثم ذهبتُ لأمشي بلياقة بحيث لن يشك أحد بي، حتّى رنَّ جرس إنذار المتجر، فانتهى الأمر، ببضع ضرباتٍ تلقيتها على مؤخرتي.

أنا، وكرزة نحب الضّحِك والمَرَح كثيرًا، نقطفُ الأزهار أينما وُجدت، نلعبُ، نركضُ، ونمارسُ حياتنا بشكلٍ طبيعيّ، لكّني أواجه عقبة واحدة تقف في طريقي: المدرسة!

«هل ستظلين نائمة مدى الحياة؟ والمدرسة! عليكِ أن تتجهّزي للذهاب إلى المدرسة! السّاعة الآن تقاربُ السابعة!»، تقول أمي.

«المدرسة!»، أتمتم.

هكذا أستيقظُ كلّ صباح على صوت صراخ أمي من المطبخ. ربما سأنتهي من هذا العذاب قريبًا، على الأقل سأتخلّص من رفاقي المزعجين في المدرسة!.

«لماذا قرر والداك نقلَكِ من المدرسة، بلا إخوتك يا مرح!» تسألني كرزة.
«يقولون إنَّ المعلمين سيئون»، أُجيبها.

تناولتُ فطوري المعتاد، والمتواضع: زعتر(صعتر) وزيت، كنتُ أعتقد أنه سيزيد من ذكائي كما كانوا يقولون لي، لكنّه أصبحَ يعكّر صباحي. أخرجُ وأنتظرُ باص المدرسة بسكون غير معتاد، أصعدُ الباص وألتقي بأوجه خالية من التعبير، أجلسُ في مقعدي المعتاد، أنظرُ من النافذة إلى الخضار الصّباحيّ الساحر.

«كم كانَ سيكون يومًا رائعًا لولا وجود المدرسة!»، تقول كرزة.
أهزّ برأسي، وأوافقها الرأي. نصل إلى المدرسة ونصطّف بانضباط.
«ها قد بدأت من جديد»، همستْ كرزة لمرح..

***

في كلّ صباحٍ تبدأُ معلّمتنا برقصة روتينيّة نقوم بها؛ كيّ تنشطّ أدمغتنا، وأذكرُ أنَّ معلّمتنا كانت لطيفة جدًا كخالة «غون» في مسلسل القنّاص، حنونة جدًا، تعتني بنا كأطفالها.

بعد انتهاء الرقص الجماعي نتفرّق إلى صفوفنا، كلّ منا إلى مقاعده، وتبدأ حصص الملل، والدراسة، والروتين المميت إلى أن تنتهي.

لكن على غير العادة، أتى والداي بعدَ ساعتين، وطلبا مني توديع رفاقي لأنها قد تكون المرة الأخيرة التي أراهما بها. ودّعتُ صديقتي الوحيدة الأقل مللاً على الأقل، لأن حلمها أن تكون أرنبةً لكي تهزم السلحفاة في السباق.

ذهبنا إلى مدرسة جديدة جميلة جدًا، وكبيرة، وواسعة، كنتُ منبهرة من عظمتها، دخلتُ وأخذتني المعلمة إلى الصف. عندما نظرتُ لأولّ مرّة صعقتُ، جميع الطلاب من ذوي الاحتياجات الخاصة. لم أفهم، بدأتْ المعلمة تسألني بعض الأسئلة الطفولية المُملة، كنت أجيبها، وعلامات الذهول بادية على وجهي.

مـرح أيـن أنـتِ، مـاذا يحصل؟ مرح مـاذا يحصـل تكلّمي؟ لمـاذا أتى والـداك بـكِ الى هنـا، هـل هنـاك مشـكلة؟ هـل ...، سـألتني كرزة.

- توقّفي ...
- ولكن...
- توقفـي عـن سـؤالي. أنـا مثلـك، لا أعلـم لمـاذا! لكنـي أعتقـد أنَّ هنـاك سـبباً بالطبـع.

بعـد الانتهـاء مـن الأسـئلة أخذتنـي المعلمـة إلى الخـارج وقالـت بنـبرة مخيفـة: «هـل أحببـتِ المكان، هـل تريدين العودة؟»

«طبعـا لم أحـبّ المكان..مـا هذا السـؤال الغبـي،» قلتُ في قلبـي ثـمَّ أجبتها:

نعم أحببته مع ابتسامة خادعة.

أخذني والدي، وغادرنا المكان.

سـألتهُ عـن المدرسـة، فقـال لي: «إنهـا لا تناسـب حالتـك، يجـب أن نتركهـا.»

عدنا إلى المنزل، وكانت نظرات الإحباط باديةً على وجوههم، شعرتُ أنني مذنبة.

«ماذا فعلت لكي ترمقونني بكل هذه النظرات القاسية؟»، قلتُ لهم.

«يقولون إنَّ لديكِ بطءً في الاستيعاب، فأنتِ لستٍ كباقي الأطفال. لا تفهمين حين يتكلمون معك، وتشعرينهم بالإحباط، والحزن.»، تقول كرزة.

***

لم أنسَ، أبدًا، صباح اليوم التالي، الذي قادني فيه والدي إلى معالجة نفسية. تحدّثَتْ معي بحذر، وسألتني بعض الأسئلة:

ما هو الشيء الذي يجعلك سعيدة؟، سألتني المعالجة

«التنزه بالحديقة مع كرزة»، أجبتها.

- حقاً وماذا أيضا؟

- أيام العطلة

- ماذا أيضاً؟

- الأمور التي تجعل قلبي يدق بسرعة.

- مثل ماذا؟

سكتُ قليلا ترددت في قول الحقيقة لأنّني أعلم أنها لن تسعد أحد:

- كالذهاب إلى المدرسة...

«ماذا؟ ماذا تقولين؟ لماذا تكذبين؟»، سَألَتْ كرزة مذهولة

أعتقدُ أنه حان الوقت لكي أصبح مثل باقي الأطفال، طبيعيّة ومطيعة، لكي لا أُحبط والدي وأحزنهم مرة ثانية.

- مرح، هل أنت جادة الآن؟ تريدين التخلّي عن نفسك لأجل والداك؟

- نعم، ربما هذا أفضل للجميع.

- لكن...

- حقاً وهل تحبّين رفاقك بالمدرسة؟ سألتني المعالجة.
- نعم إنهم لطيفون جدًا، أشتاقُ إليهم بالفعل.

هذا جميل ، يمكنك الخروج الآن، سأتكلم مع والدك.

عنـد مغادرتنا تنفسَّ أبي الصعـداء، كانتْ عيناهُ حمراوتان، لمْ يتكلّـم معـي. عـدتُ للمنزل بعـد أن وعـدتُ نفسي بأن أصبـح شـخصًا آخرًا. سـأكون أفضل طفلة.

- كرزة: مرح...
- أمي أنهيتُ فروضي اليوم، وسأحضرّ دروس الغد.

«أحسنت يا فرح كم أنت رائعة»، تقول لي أميّ
- كرزة: مرح...

هل أستطيع أن (أسَمِّعَ لكِ الدرس)؟، أقول للمعلمة
- المعلمة: رائع يا مرح، صفقوا لمرح.
- كرزة: مرح...

- أحرزت عشرة من عشرة في الإجليزية يا أمي
- «أنـت رائعـة يـا مرح سـأحضر لـك كتابـا هديـة»، تقول لي أمي.

عاملنـي والـداي بشـكلٍ مختلف عن السـابق، أمي فخورة وأبي أيضًـا. صحيـح أنـه لم يكـن مـن السـهل أن أكـون كما أرادوا، إلّا أننـي واظبـتُ عـلى هـذا النمـط أشـهرًا إلى أن تدهـورت حالتـي الصحية.

أصبـتُ بـالأرق، لم أعـد أتنـاول الطعـام، انحسرت شـهيتي تدريجيًـا، ضعُـف جسـدي إلى أن أغمـي عـليّ في الصـفّ، فأخـذوني إلى عيـادة الطبيـب، حيـثُ قـال لأمـي: ابنتـك تعـاني مـن سـوء تغذيـة!

***

نمـتُ أسـبوعاً كامـلا في السريـر، حتـى اسـتطعت المـشي مجـددًا. لاحظـتْ أمـي عـدم رغبتـي في فعـل شيء، حتّـى الألعـاب التـي كنـتُ أحبهـا أصبحت شـيئاً آخـر في نظري. كنـتُ هادئـةً، لا أرغـب في فعل شيء، أجلـس طيلةَ الوقت

تقريباً أمام النافذة أراقبُ المارَّة، أتأملُ الحياة، تائهة، حتّى أصبحَ صمتي يثير قلق والداي. لم تعدْ لي رغبة في رمي الحجارة على المارّة مثلما كنّا نفعل أنا وكرزة، حتّى أم رشيد التي أحرقْنا تنّورتها بدأت تشفق عليّ، كنت قد تعافيت جسديا لكن كان هناك شيء داخلي قد مات، كنتُ أرى كرزة في كلّ زاوية، وفي كلّ مكانٍ، وكلما حاولتُ التواصل معها لا أجدها. كرزة اختفت!

لم يرد والداي إرسالي إلى المدرسة حتّى يتأكدوا أنني تعافيتُ تمامًا. أمّا أنا فكنتُ أبحث عن كرزتي، صديقتي المفضلة الوحيدة التي تُدخل السرور إلى قلبي.

لاحظ والدايّ أنني أبحث عن شيء دائما، وكلما سألوني كنتُ أقول لهم هل رأيتم كرزتي، إنني لا أجدها، فيبدأون في البحث معي ظانين أنني أبحثُ عن لعبتي.

تدهورت صحتي النفسية مرة أخرى، لم أستطع النوم إطلاقًا، وإذا كنتُ أضع شيء في فمي، أتقيأ على الفور، كان والداي قلقيْن، حتى اصطحباني إلى المعالجة النفسية ذاتها.

كانت تتكلم معي، لكنني كنتُ مشغولة بالبحث عن كرزة، كانت تحاول التواصل معي لكنني كنت أرفض السماع لها، لقد حزنت مني:

- المعالجة: مرح؟ هل تسمعينني

- نعم

- المعالجة: من كرزة؟

- إنها صديقتي

- المعالجة: منذ متى؟

- منـذ أن ضربتنـي والـدتي بالقضيـب لأننـي رسـمت على السـيارة بالحجر.

- وماذا تفعلون سويّا؟

- كل شيء نريده، وبالأخص الأمور التي تجعل قلبي يدق.

- أين هي الآن؟

انفجرتُ باكية:

- لقد رحلت!

- إلى أين؟

- لا أعلـم، منـذ أن بـدأتُ أتجاهلهـا، حاولـت التكلّم معي لكنـي لم أهتـم، فرحلَتْ.

- حسنا لا تقلقي أنا متأكدة أنها ستعود.

أنهـت جملتهـا ولم أرهـا مـرة ثانيـة أبـدًا، عـدتُ الى المنزل

منهكـة، فنمـتُ كثيرًا.

- مرح ... مرح ... استيقظي.

اسـتيقظت وسـط حقلٍ أخضر واسـع، ورأيت فتـاة صغيرة جميلـة جـدًا تقـفُ بعيـدًا. كانـت جميلـة، ترتدي فسـتانًا أخـضرًا منقوشًـا بالـورود الملوّنة.

- مرح، هذه أنا كرزة.

- كرزة؟ هذه أنت!!

بـدأت أركـض نحوهـا، لكننـي كلـما تقدّمـت تراجعـتْ خطوتـين، لم أفهـم شـيئًا!.

تقدمت كرزة قليًلا، وقالت:

«لطالمـا كنـت الفتـاة التـي أتمنـى أن أكـون، فتـاة عفويـة، جميلـة، طيبـة، حمقـاء، لا مباليـة، هـذه أنـت يـا مـرح.»

لم أسـتطع الوصـول إليها، لكنَّ كرزة كانت تبتسـم وتقترب بهدوء..

تغـيّر لـون السـماء وبـدأتْ تمطر عـليّ بأسـهم حارقة حتى أصابنـي واحدٌ في كتفـي الايسر.

- أعـرف مـن أنـتِ، ربمـا لم تكـوني تلميـذة مجتهـدة، لكن ذلـك لا يحـدّد كينونتـك، هـذه ليسـت حقيقتـك، أنـت وحـدك مـن يعـرف حقيقتك.

وصلت كرزة أمامي وفتحت يدها:

- تعالي إليَّ يا مرح.

عانقتها وشكرتني.

ثم تحوّلتْ إلى شجرة أحاطتني بجذورها.

اسـتيقظتُ باكيـةً، كنـتُ أعلم أنهـا المرة الأخـيرة التي أرى فيهـا كرزة!!

أكتـب الآن، وقـد أصبحـت في العشريـن من عمـري، ومنذ تلـك اللحظـة زرعتْ كـرزة بداخلي أشـياء كثيرة..

ساعدتني على تذكّر من أكون وماذا أكون.

زهراء السبلاني

عالم الكتاب

في إحـدى الليـالي الماطـرة، وبينـما كنت أتجوّلُ في شـوارع الأندلـس، لمحـتُ عبـارة عـلى حائـط إحـدى الأماكـن في مدينـة قرطبة المعروفة بجسرها الحجـريّ الكبير، والقصور الشـاهقةِ. اقتربـتُ، وبـدأتُ ترتيلهـا، ومـا إن انتهيـت مـن نطـق آخـر حـرف منهـا، شـعرتُ بالـدوار، وسـقطتُ أرضًا، لأفتـحَ عينـيّ بعـدَ عـدّة دقائـق، وأرى نفسي في عـالم آخر. عـالم مـليء بالطاقـة، والحيوية.

شـعرتُ بنفـسي وكأنّهـا صـارت أصغـر سـنًا، أصبـحَ ملمس جسـدي أكـثر نعومـة وطـراوة، شـعري تَزيّـنَ بخيـوط الحريـر، لا أعلـم مـاذا حـدث، ولمـا أنـا هنـا، وما هـو هذا المـكان ؟!

مـا أعرفـه، هو أنني شـعرتُ، ولأوّل مرة في حيـاتي بالراحة، والسـكينة والطمأنينـة والقـوة والأمـل والعطـاء. مشـاعر متداخلـة وأحاسـيس هائجـة، ونفـسٌ مطمئنـة شَـعرتْ بانتمائهـا لهـذا المـكان.

وإذ بي أرى فتاة تقترب مني مبتسمة، وهمست في أذني قائلة:» قرأتِ الطلسم المرسوم على الجدار، أهلًا بكِ في كوكب «الكِتاب»، هنا لا وجود للبشرِ، هنا تتواجد العقول والأفكار، نتغذى بالثقافة ونرتدي ثياب الحق وننام على فراش الأمل. عالمنا مختلف عن عالمك. والآن حان دورك لتؤدّي مهمتك.!»

لم أفهم ما قالته الفتاة ولم أُعِر لكلامها أيّ اهتمام، نهضتُ وبدأتُ أتجول في المكان، علّني أفهم وأستوعب ما يدور. تقعُ على يميني، مكتباتٌ كبيرة بأجمل الألوان، وعلى شمالي، لوحاتٌ مرسومة بإبداع. السماء فوقي تتجلّى بالأزهار، يأتيني النسيمُ برائحتهِ ليسكنَ صدري، والأرض تحتي كأنها منحوتةٌ على يدِ فنان. كل قسم منها يروي أسطورةً من أساطير الزمان. أصابتني الرعشة للحظة.. هل هذه حقيقة أم خيال!!

وبينما كنتُ في حيرةٍ من أمري، ظهَرتْ لي نفسُ الفتاة المبتسمة قائلة:» أنتِ هنا؛ لأنك تنتمين إلى هذا المكان، بوسعك البقاء، قدر ما تشائين، وتبنين عالمَك الخاص كيفما تريدين، كما يمكنكِ الرحيل متى ما أردتِ. لكنْ تذكّري، إن رحلتِ، لن تستطيعينَ العودة مجددًا، إلا بشرط واحد: أن تقرئينَ ١٠٠٠ كتاب، وتكتبين شعرًا

يلخص عدد ما طلبته منكِ، إن أحسنتِ الاختيار واقتنيتِ أفضل الأفكار، سيظهر لك طلسماً آخر عبارة عن ترتيلة فاستعدي. بإمكانكِ إحضار من تريدين معكِ من بلاد الأندلس.

في البداية لم أرغب بالرحيل عن هذا المكان إطلاقًا، ولم أشعر أنّي بحاجة للرحيل، لكن حبّ العطاء داخلي دفعني إلى التفكير في الأمر. فتوجّهتُ إلى إحدى المكتبات الكبرى، وقرأتُ إحدى العبارات المرسومة، وإذ بي، عدتُ لعالمي، عدت للأندلس. وبعدها بدأت برسم خطة العودة مجددًا. بدأتُ في قراءة كتابي الأول ثمَّ العاشر ثم المئة وصولًا إلى الألف، لم يأخذ معي وقتًا. ثلاث سنوات مضت من عمري، لم أشعر بها، ولم أحزن، لأني سأعوضها في عالمي الآخر. بدأتُ بتلخيص ما قرأته، آملة أن أستطيع العودة مجددًا.

هناك في الأفق تراءت لي نجمة
وأنا على شاطئ البحر
والأمواج تتهافت مع نسيم الرياح
قالت بصوتها الحزين

أيّها البشر استيقظوا
أيتها الحجارة انطقي
أيها الضمير الحيّ أين أنت!
ليحلّ النور مكان الظلام
لنعش كلّنا بأمان
فاستيقظتُ من سباتي العميق
ورويت ظمأي من ماء البحر المالح
وبدأتُ رحلتي
رحلة البحث عن الذات
عن وجودي

وبعد انتهائي بلحظات ظهرتْ لي جملةٌ على حائط غرفتي، رتّلتُها مع من كانَ بجواري، ودخلنا إلى الكوكب الجميل. سنعيش هناك إلى أمد بعيد، بين الكتب والروايات، والرسوم والمنحوتات والألحان، في عالم «الكِتاب».

حياة ملّاوي

زهرةُ السوسن

أنا سوسـن.. سوسـنة، زهـرةٌ رقيقـةٌ يفوحُ عطرهـا ليحضنَ أطفالهـا وجميـع مـن حولهـا. أجمل مـا فيّ قوامـي الملتفّ كالعـاج، المشـوق إلى السـماء، لا ينكسر مهـما مرّت عليه ريـاح الحياة.

أقـف وسـطَ الحقـول، بقـوّة، أتحكـمّ بجميـع قـراراتي، وبقـدري أحيانًـا.. هكـذا اعتقـدتُ لكـن:

هبّـت ريـاح الحرب، دُمّـرت الحقول حـولي، لم يعد هنالك مطـرٌ، لم يعـد هنالك أنهار ولا بحـار ولا ماء!.

فقط دماء، دماء حولي.

أنـا سوسـنة، هُجّـرتُ من حقـلي الجميـل المُحـاط بالورود والشـموس والحيـاة، تركـتُ مملكتـي التـي أحـب، كـبرتُ كثـيرًا، وأصبحـتُ عاجـزة إلا عـن التنقّـل.

أتنقل من مكانٍ لآخر، ومن أرضٍ لأخرى، ومن بيتٍ لآخر.

أنـا سوسـنة، حلمـيَ الوحيـد أن يأتينـي طائـر كبـير الجناحـين، ليحملنـي ويعـود بي إلى حقـلي الذي انسـلختُ

منـه. ولتعـود الشـموس ولأزهـر وأمتـدّ في المـدى.
أنا هي زهرة السوسن، المعطاءة والولّادة إلى الأبد..

سوسن دبّور

حفلة الجسد

للمرّة الأولى أسمحُ لعيني بتفحّص أجزاء جسدي بدقّة. فمنذُ اليوم المشؤوم لم أتجرأ على الوقوف بعريّ أمام مرآتي.

أتجرّد من ملابسي، ومن أفكاري المسبقة عن ذاتي! لستُ أعلم كمْ من الوقت قضيتُ، وأنا أتأمل في تفاصيل انحناءات جسدي، وخطوط جلدي الجميلة.

قضيتُ سنوات طوال، أتجاهل رقّة هذا الجسد، وأغضُّ الطّرف عنه، لأنه يذكّرني بالانتهاك. عَجِزَ جماله عن المدافعة عنه، بل كنتُ أعتقد بأنّه حلّ كلعنة عليه.

هذا الجسد، وهذه الروح، كلتاهما تعرّضتا للأذى، فهل كان ذنبي؟

هل كان ذنبي لأجلد ذاتي، وأحمّلها مسؤولية تمادي المسخ بانتهاكهما؟ كيف سوّلت لهُ نفسه تمزيق براءة الطفلة؟

لا شيء يدعوني للخجل، سوى تلك الفكرة التي استولتْ على عقلي لبرهة، تلك الغيمة الآثمة بحقي، والمخجلة التي أوهمتني بأنني أخطأت عندما تجوّلتُ بفستاني الجديد أمام المنزل. كنتُ طفلة سعيدةً جداً بألوان

فستانها الزاهية، وكان لي الحق، كلّ الحق في ذلك.
لا وحش هنا سواه، وها قد قتلتهُ في ذاكرتي وانتصرت.

انتصرتُ على أفكاري المسبقة. عن ذاتي أولاً، وعلى صورته التي طاردتني لسنوات بعدها.
كنتُ كلما اقتنعتْ ذاتي، بأنه الوحش الحقيقي في هذه القصة، أرى وحشيته المرعبة تتلاشى شيئًا فشيئًا، حتّى أصبح كالعصفور الجريح.
مددتُ يدي بغية خنقه حتّى الموت، ولكن ما إنْ لمستهُ، تحوّل إلى رماد.
جمعتُ ما استطعتُ منه، ونثرتهُ في بحرِ وعيي، وما إن غرق كل ما فيه واحترق ما تبقى منه على يابسة ذاكرتي، احتَفَلتْ كلّ جوارحي. رقصَ قلبي وغنّت روحي، تحرَّرَتْ ذاتي، ذاتي الصغيرة.
طفلتي الداخلية، عادتْ وارتدت الفستان عيْنه، ورقصتْ أمامَ منزلنا حتّى الصّباح.

لين ملحم

ريتا باروتا/ شاعرة وكاتبة وباحثة لبنانية، حائزة على شهادة الدكتواره من جامعة القدّيس يوسف في علوم التّواصل. أستاذة مُحاضِرة في الجندر (النوع الاجتماعي) بالجامعة اللبنانيّة الأمريكيّة في بيروت (LAU).

نُشر لها العديد من النصوص والمقالات في مختلف الصحف اللبنانية، وصَدَرَ لها ثلاثة دواوين شعرية، باللغة العربية والفرنسية: مفردة، Mes actes، هرطقة بلون سرير.

مكتبة ومقهى مَيْلي/ مساحة في مدينة بعلبك، أسّستها مجموعة من النساء، للتلاقي والنقاش، ولإضفاء نوع من الأختيّة من خلال التضامن ودعم النساء وتقديم كافة الوسائل والحلول المُستطاعة لهنَّ.

تعمل «مَيْلي» التي تمّ افتتاحها في حزيران/ ٢٠٢٣، بدعم من صندوق درّية، على تنظيم الجلسات الحواريّة المتنوّعة، وعلى تنظيم الورشات التثقيفيّة المحليّة استجابةً لما تريده النساء في منطقةِ بَعْلبَك، وضواحيها.

تُؤمن عضوات ميلي -اللواتي تعملنَ من خلال استراتيجية قاعدية تشاركيّة (لا هرميّة)،- بموقف سياسي راديكالي واضح في دعم النساء، وجميع الفئات المُهمشّة التي يستغلّها النظام المهيمن بشكلهِ البطريركي والرأسماليّ.

تسعى «ميلي»، من خلال عمليّة التعلّم ذات الاتجاهين (التعاون مع جميع الزائرات والاستماع لهنَّ والتعلمّ منهنَّ ومن تجاربهنَّ) إلى بناء الطرق المشتركة، وإلى تحقيق العدالة المكانيّة، واللغويّة، والاجتماعية عبر مشاركة جميع النساء بأعراقهنَّ وجنسياتهنَّ وأعمارهنّ المختلفة.

الفهرست

مقدمة ٨

باردة مثل البحر ١٠

شجيرة السريس ١٢

لا مرئية ١٤

ريشة ١٦

مدينة بلا حب ١٨

مكان بلا ملامح ٢١

عين وجودي ٢٣

أفول النجمة ٢٥

اساميا شو تعبو أهالينا تلاقوها ٢٧

المجد لمن قال لا ٢٩

كرزة ٣١

عالم الكتاب ٤٣

زهرة السوسن ٤٧

حفلة الجسد ٤٩